ترجمة رودي پـــارت لمعانيِ القرآن
دراسة تقويميّة

د/ فريد قطاط
المعهد العالي لأصول الدّين، جامعة الزّيتونة.

تشير نتائج التّحقيقات المختصّة في علوم اللّغات إلى وجود ستّة آلاف وخمسمائة وثماني وعشرين لغة رائجة بين الأقوام والأمم المختلفة في العالم، وبناء على نفس هذه الإحصائيّات الّتي أعدّها المختصّون إلى حدود سنة 1995م، يتبيّن أنّ القرآن الكريم لم يترجم ترجمة كاملة إلاّ لحوالي سبعين لغة فحسب، بينما كان نصيب الكتاب المقدّس وفقا لهذه الإحصائيّات الّتي توفّرت إلى غاية سنة 1989م، ألفا وتسعمائة وثماني وعشرين ترجمة إلى اللّغات العالميّة المختلفة، وتشهد حركة ترجمة الكتاب المقدّس سنويّا إضافة ما بين عشرين وثلاثين ترجمة جديدة. (1)

---

1) BARBARA F. Grimes (ed) Ethnologue: Languages of the World 12 th edn. Summer Institute of Linguistics Inc. Dalas, TX ; R.E.Asher (ed) 1994. The Encyclopedia of Language and Linguistics, vol. 10, p 5189, Pergamon Press.

نقلا عن : نقدي محمّد – فردا ديراست [غدا يبدأ اليوم ..]- مجلّة ترجمان الوحي، نشريّة مختصّة تصدر عن مركز ترجمة القرآن المجيد إلى اللّغات الأجنبيّة / مؤسّسة الأوقاف والأمور الخيريّة في إيران – السّنة الثّانية – العدد 4 – 1999م، ص 7.

وقد اهتمّ المستشرقون الألمان بترجمة معاني القرآن إلى اللّغة الألمانيّة في ظروف تاريخيّة مختلفة، طُبِعت بداياتها بعداوة بغيضة للإسلام والقرآن والرّسول، ثمّ وقع تجاوز هذه المواقف السّلبيّة، بظهور شخصيّات علميّة، حاولت النّظر إلى الإسلام بعين الإنصاف والعدل، والحقّ والعقل، بعيدا عن عقليّة القرون الوسطى، وقد تعرّض الدّكتور منير الفندري - أستاذ اللّغة الألمانيّة بالجامعة التّونسيّة - إلى تحليل علاقة المدّ والجزر بين الطّاعنين في الإسلام، والدّاعين إلى إنصافه، من بين الشّخصيّات الألمانيّة، في مقاله القيّم "ترجمتان ألمانيّتان للقرآن في عصر - **التّنوير** - " [2]، الأمر الّذي يغنينا عن التّوقّف ههنا للخوض في حيثيّات هذا الصّراع الّذي اتّسع حوله الجدل بين رجال الكنيسة والفلاسفة، والمفكّرين والمستشرقين في ألمانيا.

وتعتبر ترجمة معاني القرآن الّتي أنجزها المستشرق الألمانيّ رودي پارت (Rudi Paret)، من أهمّ التّرجمات وأوسعها انتشارا اليوم، وأجمع النّقاد على التزامه بالموضوعيّة والدّقة والأمانة العلميّة، في بحوثه حول الإسلام والسّيرة النّبويّة والقرآن، بقدر ما تسمح به الطّاقة، حتّى إنّه كان كثيرا ما يجدّد النّظر في دراساته، مصحّحا ومنقّحا، ممّا يشهد له بطول النّفس في البحث، وعدم الاستنكاف عن الاعتراف بالخطإ والتّقصير، إذا ما اقتضت الضّرورة.

وسنحاول تقسيم هذه الدّراسة حول ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن إلى عنصرين رئيسين :

أولا - تقديم ترجمة ذاتيّة مفصّلة للمستشرق الألمانيّ رودي پارت، مع التّركيز على أهمّ المراحل الّتي طبعت حياته العلميّة، باعتبار كلّ ذلك مقدّمات

---

2) الفندري منير : ترجمتان ألمانيّتان للقرآن في عصر "التّنوير" - مجلة فكر وفنّ الألمانيّة - السّنة التّاسعة والعشرون - العدد 54- 1992م، ص ص 58 - 63.

أساسيّة، أفضت إلى إنجاز إحدى أهمّ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللّغة الألمانيّة، وهي بهذا المعنى، بمثابة التّتويج لحياة علميّة حافلة بالبحث والدّراسة.

ثانيا – تقويم ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن الكريم، وإبراز ما فيها من إيجابيّات وسلبيّات:

1 - التّرجمة الذّاتيّة :

ولد المستشرق الألماني رودي پارت في قرية بلاك فورست (Blach Forest) بمنطقة ويتندورف (Wittendorf) بجنوب ألمانيا، في الثّالث من أفريل سنة 1901م، وتوفيّ بمنزله في مدينة توبنجن (Tübengen) في 31 جانفي 1983، في سنّ الثّانية والثّمانين من عمره.

وكان أبوه ويلهلم پارت (Wilhelm Paret) راهبا على مذهب البروتستان، وتدعى أمّه ماريا مولرپارت (Maria Müller Paret) وأضاف عبد الرّحمن بدوي في "موسوعة المستشرقين" أنّ رودي پارت ينحدر "من أسرة يكثر فيها القساوسة المسيحيّون" [3]، وبعد أن أكمل الدّراسة الثّانويّة سنة 1920م، بمدرسة العلوم الدّينيّة نيدره Niedere، التحق بجامعة توبنجن لمواصلة دراسته في اختصاص اللاّهوت والكلام المسيحيّ، ولم يمض وقت طويل حتّى عزف عن هذا التّخصّص، وانصرف إلى دراسة اللّغات والآداب السّاميّه، وتمكّن من الحصول على شهادة الدّكتوراه سنة 1924م، بعد مناقشة أطروحة بعنوان "سيرة سيف بن ذي يزن"، تحت إشراف المستشرق الألمانيّ الكبير إنّو ليتمان (1875م – 1958م) (Enno Littmann)، وكان عمر رودي پارت إذ ذاك ثلاثا وعشرين سنة.

---

3) بدوي عبد الرّحمن : موسوعة المستشرقين – دار العلم للملايين – بيروت – الطّبعة الثّالثة – 1993م، ص 62.

وقد أشار أحمد محمّد هويدي إلى اهتمام رودي پارت بالآداب الشّعبيّة، بقولـــــه : "وبدأ رودي پارت (R.Paret) دراسته بأبحاث منتظمة لأدب الرّوايات العربيّة، وذلك بأطروحته للدّكتوراه عن : "سيرة سيف بن ذي يزن، رواية شعبيّة عربيّة" [4]، ثمّ أمضى مدّة قضاها في البحوث والتّحقيقات العلميّة بمصر، من سنة 1924م إلى 1925م، حسبما أفاد به تلميذه ويليام جراهام (William A. Graham) في مقالته الّتي كتبها تكريما للمستشرق رودي پارت، بعد فترة وجيزة من وفاته [5]، وهذه المدّة القصيرة تتعارض مع ما صرّح به أحمد محمّد هويدي من أنّ پارت "اهتمّ خاصّة بالقضايا الإسلاميّة الحديثة، ومن خلال إقامته فترة طويلة في مصر، عرف تلك المشاكل من رؤية شخصيّة، وأسهب في دراسة وضع المرأة عند المسلمين المعاصرين معتمدا على المصادر العربيّة"[6]، وما نلاحظه في هذا الصّدد هو أنّ القول بإقامة رودي پارت في مصر فترة طويلة يقتضي أن تكون مدّة هذه الإقامة أكثر من سنة، خلافا لما ذهب إليه ويليام جراهام من تحديد هذه الإقامة من سنة 1924م إلى 1925م، وربّما قصد كلّ منهما الإشارة إلى مدّة هذه الإقامة بالنّظر إلى زاوية معيّنة، والأمر الثّابت هو أنّه أتيحت الفرصة لـــ "رودي پارت" فعلا حتّى يتمكّن من الإقامة الممتدّة في الدّيار المصريّة، ولهذه الإقامة أهميّة مؤكّدة ونتائج واضحة، تتجلّى في أبعاد الرّحلة الّتي يقوم بها المستشرقون إلى المناطق الّتي

---

4) هويدي أحمد محمّد : الاستشراق الألمانيّ : تاريخه، واقعه، توجّهاته – نشر المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة بمصر– 1420هـ / 2000 م، ص 75.

5) GRAHAM , William A. In memoriam Rudi Paret (1901-1983)- The Muslim World, Ajournal devoted to the study of Islam and of Christian – Muslim relationship in past and present – Harford Semenary, 1984, p 133.

وتجدر الإشارة إلى أنّني اكتشفت هذا المقال بفضل التّرجمة الفارسيّة الّتي صدرت في مجلّة "ترجمان وحي" الإيرانيّة – العدد الثّامن عشر– السّنة التّاسعة – 1384 هجري شمسي / 1427 هجري قمري / 2006م، ص 79 – 91.

6) هويدي أحمد محمّد : الاستشراق الألمانيّ، ص 85.

يسكنها المسلمون، ومدى انعكاسات احتكاكهم إلى حدّ الاندماج في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة على عموم إنتاجهم العلميّ ومواقفهم النّقديّة.

وبعد عودته من مصر، تمكّن رودي پارت من الحصول على شهادة الدّكتوراه العليا سنة 1926م، وكانت أطروحته المتّصلة بقضايا الآداب الشّعبيّة العربيّة، بعنوان "**حماسة عمر النّعمان**" تحت إشراف المستشرق إنّو ليتمان، كما تمكّن رودي پارت في نفس هذا العام من الالتحاق للتّدريس بجامعة توبنجن بدرجة محاضر Dozent، ثمّ التحق في سنة 1930م للتّدريس بجامعة هايدلبرج (Heidelberg)، وتفرّغ للتّدريس هنالك إلى غاية سنة 1935م، فتدرّج في السّلّم العلميّ والوظيفيّ، حتّى ارتقى إلى رتبة أستاذ كرسيّ للدّراسات الشّرقيّة بجامعة بون (Bonn)، سنة 1941م، ليحلّ بذلك محلّ المستشرق پاول كاله (1875م – 1964م) (Paul Ernst Kahle).

وانقطع رودي پارت عن التّدريس لمدّة خمس سنوات، بسبب مأساة الحرب العالميّة الثّانية الّتي اضطرّته إلى قضاء كامل هذه الفترة خارج ألمانيا، فعمل ضابطا بالجيش الألمانيّ في كلّ من فرنسا وشمال إفريقيا، ووقع في أسر القوّات الأمريكيّة لفترة امتدّت من سنة 1943م إلى 1946م، وقد ذكر عبد الرّحمن بدوي في هذا الصّدد أنّ رودي پارت "انخرط في خدمة الجيش سنة 1941م، وعمل في جيش رومل [7] في ليبيا، وأسر في سنة 1942م، وظلّ في الأسر حتّى سنة 1946م" [8].

7) إروين رومل (1891م – 1944م) Erwin Rommel، ماريشال ألمانيّ، قاد الحملة على إفريقيا، وفشل في العَلَمَيْن (بلدة مصريّة) حيث انتصر عليه البريطانيون بقيادة مونتغمري (1887م – 1976م) Bernard Law Montgomery، سنة 1942م .. ارتاب هتلر في إخلاص رومل، فأمره بالانتحار.

8) بدوي عبد الرّحمن : موسوعة المستشرقين، ص 62.

وبعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية، رجع رودي پارت إلى بون، حيث ظلّ هنالك خمس سنوات، ثمّ تزوّج بالسّيدة حنّا كوپر (Hanna Küpper)، وقضى معها حياة امتدّت نحو خمس وثلاثين سنة في مدينة توبنجن.

وفي سنة 1951م، دعي رودي پارت من قبل جامعة توبنجن ليشغل خطّة أستاذ الدّراسات العربيّة والإسلاميّة، كما أنّه حظي بمسؤوليّة رئاسة مركز الاستشراق بهذه المدينة، وبقي في هذا المنصب الأخير مدّة سبع عشرة سنة، إلى أن أحيل على التّقاعد بتاريخ 30 سبتمبر 1968م، في سنّ السّابعة والسّتين من عمره.

وبعد التّقاعد، اتّفق رودي پارت مع زوجته، على قضاء ما بقي من العمر في مدينة توبنجن، وتعتبر فترة ما بعد التّقاعد، مرحلة حاسمة في المسيرة العلميّة لهذا المستشرق الّذي لم يتوقّف عن البحث والتّحقيق، والعطاء والإبداع، والتّصنيف والتّأليف، وذلك بفضل استفادته من التّفرّغ والابتعاد عن مسؤوليّات الإدارة وأعباء التّدريس، وتتميّز هذه المرحلة من حياته بانتشار أهمّ إنتاجه العلميّ من حيث العمق والجودة.

ويمكن أن نقسّم أبرز المحاور الّتي دارت حولها تحقيقات رودي پارت إلى محورين هامّين، إضافة إلى بعض الاهتمامات العلميّة التّكميليّة، وقد كانت جميعها بمثابة البحوث الممهّدة لترجمة معاني القرآن، باعتباره أعظم إنتاج توّج به حياته، وأصبح بفضله في عداد الخالدين.

أ – رصد تاريخ الدّراسات العربيّة والإسلاميّة وتطوّرها :

ألّف رودي پارت كتابا بعنوان "**الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة : المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه**"، وترجمه مصطفى ماهر إلى اللّغة العربيّة في مائة وعشـــر صفحات سنة 1967م [9]،

9) پارت رودي : الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة: المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه – ترجمة مصطفى ماهر – دار الكتاب العربي للطّباعة والنشر – القاهرة – 1967م.

وقد استعرض رودي پارت في هذا الكتاب آراء كبار المستشرقين الألمان وتأمّلاتهم، وحدّد المنهج الّذي يتبنّاه في دراساته وبحوثه، بقوله : "... إنّنا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبيّة غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة" [10]، وأضاف في موضع آخر من هذا الكتاب : "... فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربيّة والعلوم الإسلاميّة، لا نقوم بها قطّ لكي نبرهن على ضعة العالم العربيّ الإسلاميّ، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاصّ للعالم الّذي يمثّله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والّذي عبّر عنه الأدب العربيّ كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كلّ شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النّظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النّقد التّاريخي، أو يبدو وكأنّه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبّق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلّفات العربيّة الّتي نشغل عليها المعيار النّقدي نفسه الّذي نطبّقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن." [11]

وقد أبدى رودي پارت مواقف إيجابيّة من الإسلام، والرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وذلك من خلال قوله : "كان من بين ممثّلي حركة التّنوير مَن رأوا في النّبيّ العربيّ أدلّة الله، ومشرّعا حكيما، ورسولا للفضيلة، وناطقا بكلمة الدّين الطّبيعيّ الفطريّ، مبشّرا به" [12]، ويمضي رودي پارت في معرض الإشادة بالدّعوة الإسلاميّة على يدي خاتم الأنبياء، قائلا : "كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة، في بوادي وواحات شبه الجزيرة العربيّة، يعيشون فيها فسادا، حتّى أتى محمّد ﷺ، ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في

10) المرجع السّابق، ص 10 .. نقلا عن : زقزوق، محمود حمدي – أعمال المستشرقين – مقال صدر بمجلّة عالم الكتب – الرّياض – المملكة العربيّة السّعوديّة – المجلّد الخامس – العدد الأوّل – رجب 1404هـ / أبريل 1984م، ص 19.

11) المرجع نفسه، ص 10.

12) المرجع نفسه، ص 20.

كيان واحد متجانس .. وكان محمّد ﷺ دليلا على وجود الله، ورسولا للفضيلة، وناطقا بكلمة الدّين الفطريّ، ومبشّرا به." (13)

وقد حظي رودي پارت بسبب التزامه بالموضوعيّة العلميّة باحترام طائفة واسعة من علماء المسلمين، وقد عبّر عبد الرّحمن بدوي عن هذا الأمر، بقوله: "ولقد كان پارت قويّ التّعاطف مع الإسلام، ولهذا بذل مجهودا كبيرا في تعريف الأوروبيّين بحقيقة الإسلام، وبرسالة محمّد، وذلك بإلقاء المحاضرات العامّة والأحاديث في الإذاعة. ومن هنا كانت علاقات المودّة بينه وبين المسلمين في ألمانيا وخارجها، وخصوصا في إيران، حتّى إنّ الحوزة العلميّة في قم، طبعت ترجمته للقرآن طبعة جديدة بالأوفست، وقامت السّفارات الإيرانيّة في أوروبا بإهداء نسخ منها إلى كبار الزّائرين الأوروبيّين." (14)

ب – الدّراسات حول السّنة والسّيرة النّبويّة :

تعتبر هذه الدّراسات بمثابة البحوث الممهّدة لترجمة معاني القرآن تمهيدا مباشرا، بل هي التّتويج العمليّ الّذي كان خاتمة للحياة العلميّة للمستشرق رودي پارت.

وتتلخّص أهمّ الدّراسات الّتي نشرها پارت حول السّنة والسّيرة النّبويّة، وعلوم القرآن، في العناوين التّاليـــة :

– **محمّد والقرآن** : تناول رودي پارت في هذا الكتاب التّحقيق حول ظهور الإسلام والرّسالة النّبويّة، ونزول القرآن، وطبع كتاب "**محمّد والقرآن**" سنة 1957م لأوّل مرّة، ثمّ تجدّد طبعه حتّى سنة 1983م خمس مرّات، وكانت الطّبعة الخامسة بمراجعة رودي پارت نفسه، قبل ثلاث سنوات من وفاته، وقد

---

13) پارت رودي: محمّد والقرآن .. نقلا عن الشّبكة الإلكترونيّة للمعلومات [الانترنات].

14) بدوي عبد الرّحمن : موسوعة المستشرقين، ص 62 – 63.

بدت له أنظار جديدة في هذه الطّبعة الأخيرة، فأدخل عليها تعديلات وتصحيحات، بناء على ما توصّل إليه من نتائج لاحقة.

وقد حاول رودي پارت في هذا الكتاب المختصر التّحدّث عن تاريخ ظهور الإسلام، ومراحل تطوّره في الفترات الأولى، بموضوعيّة وأمانة، وكانت نتائج بحوثه حول السّيرة مستنبطة من القرآن الكريم، ويعدّ كتابه هذا –حسبما صرّح به كلّ من ويليام جراهام وعبد الرّحمن بدوي– من أمتن الكتب الّتي ألّفها المستشرقون في السّيرة النّبويّة.

– **السّيرة النّبويّة** : أصدر رودي پارت هذا الكتاب سنة 1951م، وقد برهن فيه على اهتمامه الجديّ بدراسة السّيرة النّبويّة، وقضايا الصّدر الأوّل للإسلام، ومباحث الدّراسات القرآنيّة.

ولا يفوتنا أن نلاحظ في هذا السّياق إشراف رودي پارت على رسالة دكتوراه بعنوان "زمان صدور الأحاديث ومكانها"، أعدّها تلميذه اكهارت استتر (Eckhart Stetter)، سنة 1965م.

– **الدّراسات القرآنيّة:** أصبح رودي پارت يعرف بعد الحرب العالميّة الثّانية برائد الدّراسات القرآنيّة في ألمانيا، إذ تمكّن من إنجاز عشرات البحوث والمؤلّفات في هذا القطاع، من بينها عشرون مقالا، ما بين مختصر ومطوّل، وأكثر من ثلاثين مقالة تناول فيها نقد كتب ذات صلة بالبحوث القرآنيّة.

ويعدّ رودي پارت وريثا لمدرسة ألمانيّة تضمّ أعلاما بارزين من بين المستشرقين الألمان، ممّن اكتسبوا شهرة عالميّة منذ القرن التّاسع عشر الميلادي، بدءا من جوستاف فايل [15] وتيودور نولدكه [16]، وهوروفيتش [17]

15) جوستاف فايل Gustav Weil : ولد سنة 1808 م، وتوفّي سنة1889 م.

16) تيودور نولدكه Theodor Nöldeke : ولد سنة 1836م، وتوفّي سنة 1931م .

17) يوسف هوروفيتش Joseph Horovitz : ولد سنة 1874م، وتوفّي سنة 1931م .

وشوالي [18] وبرجستراسر [19] وأتو برتزل [20]، وهؤلاء هم أبرز أعلام المستشرقين الألمان الّذين برزوا وتضلّعوا في الدّراسات القرآنيّة إلى غاية العقد الرّابع من القرن العشرين.

وقد ألّف رودي پارت كتابا مختصرا بعنوان "**القــرآن**"، صدر سنة 1979م، وفيه تعريف بمختلف البحوث الّتي أعدّها المستشرقون حول القرآن، وكان آخر ما كتبه پارت في مجال الدّراسات القرآنيّة، هو التّحقيق الّذي أنجزه حول معنى المفردة القرآنيّة "**الصّمــد**" من سورة الإخلاص.

ولم يتوقّف رودي پارت عن الاهتمام بالدّراسات القرآنيّة وتحقيق المتون ذات الصّلة بعلوم القرآن، رغم ضعف بصره، وتدهور صحّته في آخر أيّام حياته، ويرجع كلّ هذا الاهتمام بالدّراسات القرآنيّة إلى إدراك رودي پارت الأهميّة الّتي يحظى بها القرآن، ويرى ويليام جراهام في هذا الصّدد أنّه لم يكن يوجد أيّ باحث بإمكانه الوقوف على سرّ عظمة القرآن والتّصدّي لمهمّة ترجمة هذا الكتاب العظيم بالمستوى الّذي ظهر على يدي رودي پارت. [21]

وقد اهتمّ رودي پارت بمواضيع متفرّقة أثمرت المصنّفات التّالية :

- **رمزيّة الإسلام** : صدر هذا الكتاب سنة 1958م، وتناول فيه مجموعة واسعة من الأفكار والمناسك والمعتقدات الّتي ترمز إلى حِكَم ومعان مختلفة، وقد نهج پارت في كتابه هذا أسلوب الاختصار، ويبدو أنّه اختار منهج الاختصار في أغلب مؤلّفاته.

---

18) فريدريخ شوالي Friedrich Schwally : ولد سنة 1863م، وتوفّي سنة 1919م .

19) غوتهلف برجستراسر Gotthelf Bergstträsser : ولد سنة 1886م، وتوفّي سنة 1933م .

20) أتّو برتزل Otto Pretzel : ولد سنة 1893م، وقتل وهو يؤدّي الخدمة العسكريّة، في حـــادث سقــوط طائرتـــه في 28 أكتوبر 1941م، وهو في الثّامنة والأربعين من عمره.

21) GRAHAM , William A – In memoriam Rudi Paret, p 135.

- **الفتح العربيّ لحوض البحر المتوسّط:** طبع هذا الكتاب لأوّل مرّة سنة 1949م، وتجدّد طبعه سنة 1958م، وهو بحث هامّ تناول فيه بارت تحليل الظّروف الّتي انتشر فيها الإسلام.

- **الإسلام والتّراث الثّقافيّ اليونانيّ:** بحث بارت في هذا الكتاب أشكال حضور الفكر اليونانيّ في المجتمع الإسلاميّ.

- **دروس في تعليم اللّغة العربيّة :** أصل هذا الكتاب من تأليف أرنست هاردر (Ernst Harder)، وقام رودي بارت بتنقيحه وتجديد النّظر فيه.

- ألّف رودي بارت بين سنة 1960م و 1977م خمس مقالات، حول حرمة التّصوير في صدر الإسلام، وتعرّض إلى بسط موقف مخالفة الشّيعة لأحكام تحريم التّصوير .. واستفاد رودي بارت من عدد وافر من الأحاديث النّبويّة في هذا الصّدد، مستدلاّ بها حسب قناعاته عن خطإ بعض الاتّجاهات الّتي التزم بها المسلمون في تحريمهم لنقش صور الكائنات الحيّة وتجسيمها.

2 - اهتمام رودي بارت بالأدب الشّعبي :

تسابق المستشرقون الألمان في ميدان التّخصّص في الدّراسات الفيلولوجيّة، واللّهجات العربيّة، والآداب الشّعبيّة والعاميّة، حتّى أصبح جلّ المستشرقين التّابعين إلى هذه المدرسة من المتضلّعين في هذه الاختصاصات الّتي أوجس المسلمون منها خيفة بعدما لمسوا توظيفها في الدّراسات القرآنيّة بشكل عشوائيّ، ومبالغة المستشرقين في التّسويق لنتائجهم الظّنيّة حول القرآن نفسه باعتبارها نتائج علميّة لا يتطرّق إليها الشّك بزعمهم، وقد حاول أولريش هارمان [22] إعلان براءة المدرسة الاستشراقيّة الألمانيّة من النّوايا السّيئة تجاه القرآن والتّراث الإسلاميّ، بأسلوب تبريريّ، مفاده "أنّ دراسة اللّهجات العربيّة

22) أولريش هارمان : مستشرق ألمانيّ معاصر، اضطلع بمسؤوليّة إدارة معهد جوته Goethe الألمانيّ في بيروت.

والعلاقة فيما بينها هي الهواية التّقليديّة عند المستشرقين الألمان. وقد أشرنا إلى ذلك أكثر من مرّة. فإذا ما تنبّهنا إلى تلك اللّهجات العربيّة الّتي لا تزال موجودة حتّى اليوم رغم التّنامي السّريع لدواعي انحلالها وذوبانها، وهي مرتبطة بالتّمدّن الزّاحف على الأرياف، والوسائل الإعلاميّة، وبالضّغوط الثّقافيّة الّتي يتعرّض لها النّاطقون باللّهجات المحليّة. إنّ تسجيل هذه الجوانب من الحضارة العربيّة المعرّضة لأخطار الزّوال والاحتفاظ بها عمل يستحقّ التّقدير. هذه الجهود لا تشكّل بأيّ حال موقفا سلبيّا يناقض فكرة وحدة العرب السّياسيّة، الحضاريّة واللّغويّة كما تجسّدت في لغة القرآن الكريم. لقد أصدر المعهد ثلاث دراسات حول اللّهجات، ونأمل أن تتبعها دراسات أخرى. ولدينا عدّة مشاريع في حقل الدّراسات المعاصرة. ولعلّ المشروع الّذي نأمل بتمويله من قبل مؤسّسة فولكسواغن يمثّل ولأوّل مرّة تعاونا علميّا بين المستشرقين والجغرافيّين وعلماء الاجتماع والأنتروپولوجيا، وسيتمّ ذلك برعاية المعهد الألمانيّ في بيروت ..." (23)

لقد حصل جدل قويّ بين الألمان أنفسهم حول جدوى الدّراسات الفيلولوجيّة ونقد النّصوص، بدليل اعتراف أوليريش هارمان بهذا المأزق، فقد تعرّض إلى هذه المشكلة بقوله: "نحن المستشرقون، خرّيجو كلّيات الفلسفة نجد أنفسنا هدفا للهجمة نفسها، وبشكل أعنف وأقسى. وهي الآن أشدّ منها في أيّ وقت مضى. فالمناهج التّقليديّة للتّحليل الفيلولوجيّ ونقد النّصوص وتاريخ الثّقافة والحضارة لم تعد هدفا يبتغى. ففي أيّ اتّجاه تنصبّ جهودنا إذن ؟" (24)، كما أنّه أشار إلى أنّ هذه الدّراسات مموّلة من جهات تدفع بالمستشرقين الألمان إلى تحويل وجهة دراساتهم صوب هذا الاختصاص المتعلّق بالآداب الشّعبيّة

---

23) هارمان أولريش – الاستشراق الألمانيّ : منجزات ومراجعة مواقف – مقال صدر في مجلّة الباحث اللّبنانيّة – السّنة الخامسة – العدد الأوّل (25) – بيروت – جانفي/فيفري 1983م، ص 149.

24) المرجع نفسه، ص 144 .

واللّهجات العاميّة، بهدف احتواء العالم العربيّ الإسلاميّ، فقال: "وطبعا، هناك أيضا الضّغط الملحّ من قبل أولئك الّذين يقدّمون الأموال لدعم النّتائج الّتي تؤدّي إلى احتواء العالم العربيّ الإسلاميّ والتّشبّث به، باعتباره منطقة اضطراب، حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه." [25]

ولم يشذّ المستشرق الألمانيّ الكبير رودي پارت عن مسار البحوث حول اللّهجات العاميّة والآداب الشّعبيّة، وذلك باعتباره خرّيجا بارزا من هذه المدرسة، بل هو كبير النّاطقين باسمها بعد انقراض جميع المؤسّسين لها، بالرّغم من ارتفاع الدّعوة في ألمانيا إلى وجوب التّوقّف عن الاستثمار في هذا الاتّجاه، فقد نقل أوليريش هارمان قول أحد الباحثين الألمان الشّبان "لقد آن الأوان كي يبتعد المستشرقون عن اللّهجات العربيّة، ويعدّوا أنفسهم لتقبّل الدّور الجديد كطاقة فاعلة في خدمة العلوم الاجتماعيّة، وكاحتياطيّين للقيام بمهمّة التّرجمة والشّرح في ميادين العمل المختلفة" [26].

ويرجع اهتمام رودي پارت بالآداب الشّعبيّة والعاميّة إلى ما قبل سنة 1930م، خلال إقامته في توبنجن، فقد تمكّن أثناء إعداده لأطروحة الدّكتوراه الّتي تمحورت حول هذه الاهتمامات من تحرير بعض المقالات، وتأليف ثلاثة كتب، وهي :

- تاريخ الإسلام في مرآة الآداب العربيّة.
- قصص العشق في العصر الجاهليّ : محاولة في دراسة الآداب المقارنة.

وقد صدر كلا هذين الكتابين سنة 1927م، وهما بمثابة مدخل إلى دراسة التّاريخ الإسلاميّ، مستخرج من الآداب الشّعبيّة واللّهجات العربيّة.

---

25) المرجع نفسه، ص 144.

26) المرجع نفسه، ص 144.

– الأدب الأسطوري للغزوات : نشر رودي پارت هذا الكتاب سنة 1930م، واستخرج مضامينه من أحد مصنّفات ابن السّراج (توفّي سنة 1106م)، وفيه حوالي مائتي قصّة في الحبّ والعشق، وتدور حوادث هذه القصص الشّعبيّة في فلك غزوات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وقد عبّر ويليام جراهام عن إعجابه بهذا الكتاب، بقوله: "ومن الطّريف أنّه لم يظهر إلى الآن أيّ بحـــث في هذا الشّـــأن بمثل هذا الاتّســـاع والشّمول" (27).

3 – قضايا المرأة المسلمة في دراسات رودي پارت :

تناقص اهتمام رودي پارت بالأدب العربي منذ إقامته في هايدلبرج سنة 1931م، لكنّه عاد إليه في أخريات أيّام حياته، فوجّه عنايته إلى الدّراسات القرآنيّة مستفيدا من توظيف الآداب الشّعبيّة في هذا الإطار، وذلك بالإضافة إلى موضوع نَعَتَهُ النّقاد بالطّرافة، ويتعلّق بالدّفاع عن حقوق النّساء في العالم الإسلاميّ المعاصر.

وقد ضمّن رودي پارت نتائج تحقيقاته في هذا الحقل في أحد كتبه القيّمة بعنوان "مسألة المرأة في العالم العربيّ الإسلاميّ"، ويشتمل هذا الكتاب الّذي صدر سنة 1934م على مواقف خمسة مفكّرين مسلمين حول مكانة المرأة المسلمة في العالم المعاصر (من سنة 1928م إلى سنة 1932م)، وقد عرض في الفصل الأوّل من هذا الكتاب وجهة النّظر الأنثويّة لقضايا المرأة، بالرّجوع إلى أفكار إحدى المفكّرات العربيّات، وآراء أحد علماء الاجتماع العرب .. ثمّ تعرّض في الفصل الثّاني إلى ردود فعل ممثّلين للفكر الإسلاميّ المحافظ على المواقف السّابقة .. واختصّ فصل آخر من هذا الكتاب باستعراض آراء السّيّد محمّد رشيد رضا وأفكاره حول حقوق المرأة ومكانتها في المجتمع والحياة

(27 GRAHAM, William A – In memoriam Rudi Paret (1901 – 1983), p 137.

العامّة، علما بأنّ السّيد محمّد رشيد رضا من المُصنَّفين في عداد التّقليديّين والمحافظين.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّه قد أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة تكريم رودي پارت عند بلوغه سنّ الثّمانين، وقد نالت هذه الطّبعة الجديدة إقبالا خاصّا من قبل المواكبين للفكر الإسلاميّ، والمهتمّين بقضايا المرأة، حسبما صرّح به ويليام جراهام. [28]

4 - التّرجمة بين الجدوى وانعدامها :

لا تزال قضيّة ما اصطلح عليه بترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات العالميّة تثير جدالا لا يمكن أن يفضي إلى حلّ يرضي جميع الأطراف المهتمّة بهذا الشّأن، وإذا كنّا منذ البداية نعلن عن تحفّظنا على استخدام مصطلح "**ترجمة القرآن**"، ونعتقد أنه من الأصوب أن نتحدّث عن "**ترجمة معاني القرآن**"، فإنّنا نسجّل أيضا أنّ عددا كبيرا من الباحثين والدّارسين، من المسلمين والمستشرقين، يرون استحالة الحديث عن ترجمة هذا الكلام المعجز، في لفظه ومعناه، وبنيته اللّغويّة الّتي وردت في لغته الأصليّة، ولم يعد الإقرار بهذا الأمر مختصّا بالمسلمين، مثلما أسلفنا سابقا، إذ أصبح لدينا اليوم نماذج عديدة من مقالات المستشرقين الّتي تناولت محاولات التّرجمة إلى عدد من لغات العالم، وثبت بالبراهين العلميّة الأخطاء والتّجاوزات الّتي لا يمكن إلاّ أن تقوم دليلا على عجز كثير من المترجمين، ممّا يدفع كثيرا منهم إلى ارتكاب الأخطاء النّاشئة عن عدم استيعاب معاني الآيات القرآنيّة، جزئيّا أو كليّا، فيتحيّلون على المشاكل الّتي تعترضهم أثناء إنجازهم لهذه المهمّة بتعمّد ابتسار الآية، وترجمة ما يقدرون على ترجمته، دون العناية بالقسم الّذي يعجزون عن فهمه، لكنّنا نلاحظ أنّ هذه العمليّة كثيرا ما تحدث بدافع التّحريف، وبنيّة مبيّتة، يقصد

---

28) Ibid, p 137.

المترجم من ورائها الإساءة إلى قدسيّة القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق أساسا تباينت المواقف وتباعدت في خصوص الحكم على التّرجمات المختلفة، فقد نجد من بين المستشرقين أنفسهم من يتّخذ مواقف حاسمة إزاء بعض التّرجمات الرّديئة، حتّى يبلغ بهم الأمر أحيانا إلى الطّعن في نزاهـــة المتــرجم، ويمكن أن نـــورد ما ذكـــر الأب ميشال آلار [29] كشاهد على ذلك، فهو يؤكّد "أنّ ترجمة القرآن إلى الفرنسيّة الّتي قام بها بلاشير [30] جديرة بالاهتمام أيضا، رغم أنّ إلحاد المؤلّف حمله أحيانا على فهم النّص ذي الأبعاد الدّينيّة والصّوفيّة فهما عقلانيّا مسرفا" [31]، فرغم أنّ ترجمة بلاشير جديرة بالاهتمام، حسب رأي ميشال آلار، إلاّ أنّه يبقى ملحدا ومسرفا في تحكيم عقله فيما لا يملك التّصرّف في فهمه ولا تأويله، ونحن لا نفهم بدورنا كيف يمكننا التّفاعل والاهتمام بترجمة للقرآن من قبل إنسان ملحد ؟

لكنّ الأمر الغريب حقّا هو أنّ الحكم بالإلحاد من جانب ميشال آلار على المستشرقين الأوروبيّين ظاهرة جديرة بالاهتمام في حدّ ذاتها، إذ أنّه سبق أن أطلقها على غوستاف لوبون (1841م – 1931م) (Gustave Le Bon)، بقوله: "ولكنّ الأخطر من هذا كونه رجلا ملحدا ذا ميول عنصريّة ساذجة واضحة، وأنّه يجاهر باحتقاره العميق للعرب المعاصرين متذرّعا بالموضوعيّة" [32]، ويضاف إلى ذلك احتراز ميشال آلار على مهمّة ترجمة النّصوص بصفة عامّة، فضلا عن ترجمة معاني القرآن، وهو يسوق في هذا المضمار معاناته الخاصّة الّتي لقيها من بعض المترجمين الّذين لا يقدرون إلاّ على تشويه النّصوص

29) اضطلع الأب الدّكتور ميشال آلار بمسؤوليّة إدارة معهد الآداب الشّرقيّة بجامعة القدّيس يوسف في بيروت.

30) ريجيس بلاشير Régis Blachere، مستشرق فرنسيّ شهير، ولد سنة 1900م، وتوفّي سنة 1973م .

31) آلار ميشال – الاستشراق الفرنسيّ المعاصر – محاضرة صدرت ضمن كتاب الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في بعض البلاد الأوروبيّة – نشر جامعة بيروت العربيّة – 1973م، ص 55.

32) المرجع نفسه، ص 50.

الأصليّة بالتّرجمات الرّديئة، فقد ذكر أنّ كتب المستشرقين المترجمة إلى العربيّة غير مجدية في الغالب، وهذا أمر عجيب في نظرنا، لأنّ الاحتراز من الخطإ المتعلّق بترجمة إبداعات الإنسان من قبل إنسان آخر، خوفا من الوقوع في التّحريف، يدعونا إلى الشّك أضعافا مضاعفة في قيمة التّرجمات المختلفة لمعاني القرآن العظيم من حيث دقّة الفهم وعمقه، والأمانة في نقل المعاني وإدراك المباني، ومدى شعور المترجم بالمسؤوليّة العلميّة، وغيرها من الشّروط الّتي لا يمكن استيعابها في هذه المداخلة المختصّة بترجمة معاني القرآن للمستشرق الألمانيّ رودي پارت، غير أنّه من المفيد في هذا السّياق أن نقف عند عبارة ميشال آلار إذ ذكر أنّه "ثمّة سبب ثان يجعل قراءة كتب المستشرقين المترجمة صعبة أو غير مجدية في الغالب، وهي رداءة التّرجمات. وسأضرب لكم بعض الأمثلة الّتي تتعلّق بي شخصيّا ذاكرا مقاطع مقتبسة من أطروحتي الّتي نلت بها الدّكتوراه، وقد تولّى ترجمتها إلى العربيّة أوّل مرّة صديق من أصدقائي المسلمين، وهي الآن قيد التّرجمة من جديد" [33]، وأضاف قائلا: "إنّ هذه الأمثلة القليلة كافية لإظهار مدى الصّعوبة الّتي تعترض إيجاد ترجمة علميّة حقّا، أي ترجمة تؤدّي المعنى الأصليّ بوضوح ودقّة، وهذه الأمثلة تظهر أنّ على الباحث ألاّ يرجع أو يعوّل على ترجمات دون أن يتحقّق من صحّتها، أو دون أن يوكل إلى الآخرين أمر التّحقيق من صحّتها، وذلك بمقارنتها بالنّص الأصليّ. و إذا كان هذا الموقف الأوّل الّذي يعتمد، دون أيّ روح نقديّة، على اقتباسات من المستشرقين لم يتحقّق الباحث من صحّتها، يضرّ بالبحث العلميّ، فإنّ الموقف المتطرّف الثّاني ليس أقلّ ضررا من الموقف الأوّل الّذي أشرت إليه، وهذا الموقف الثّاني، هو الموقف السّلبيّ الّذي يتّخذه من يذهب إلى أنّ كلّ ما يكتبه المستشرقون لا قيمة له ..." [34]

33) المرجع نفسه، ص 51.

34) المرجع نفسه، ص 53.

إنّنا نجد أنفسنا أمام فقرة تدعو إلى تطبيق ما يسمّى بالشّك المنهجيّ في خصوص ترجمات مصنّفات المستشرقين، بتطبيق نظام نقديّ معيّن، ولا يمكننا ههنا إلاّ أن نتساءل عن مدى قدرة عموم النّاس من ذوي الألسنة الفرنسيّة والإيطاليّة، والأنجليزيّة والألمانيّة، والدّنماركيّة والهولانديّة، والصّينيّة واليابانيّة، وغيرها من لغات العالم في إفريقيا وآسيا، وأوروبا وأمريكا، على عرض ترجمات معاني القرآن على النّص الأصليّ المحفوظ بين دفّتي المصحف الشّريف .. وليس بوسع المرء إلاّ أن يبدي حيرته إزاء اعتبار ميشال آلار أنّ قراءة كتب المستشرقين المترجمة إلى العربيّة صعبة أو غير مجدية في الغالب، لأنّ هذا الإقرار من جانبه يستدعي من نقّاد ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبيّة المبالغة في الحذر ممّا يقع بين أيديهم من ترجمات تخصّ القرآن، والشّك في أهمّيتها وجدواها، وربّما الحكم بانعدام الجدوى منها إطلاقا.

ولكنّنا سنجد أنفسنا بحسب هذا الموقف أمام سلوك عدميّ وتصرّف سلبيّ، يتنافى مع المصلحة الإنسانيّة الّتي جاء القرآن للدّعوة إليها من خلال نشر روح التّعارف والتّآلف بين الشّعوب والأقوام، وأتباع الدّيانات المختلفة، وهذا ما يجعل ترجمة النّصوص الدّينيّة المقدّسة من أوكد الواجبات في عصرنا، على أن يكون هذا الجهد مقترنا بروح المسؤوليّة والموضوعيّة العلميّة، وفي هذا الإطار بالذّات يمكن أن ننظر في التّرجمة الّتي أعدّها المستشرق الألمانيّ رودي پارت، تقويما ونقدا، لإنصاف الرّجل بعد بذله لهذا الجهد الّذي توّج به مسيرته العلميّة، وختم به حياته المليئة بالحركة والعطاء.

5 – المقاييس العلميّة لترجمة النّصوص الدّينيّة :

يجب أن يخضع تقويم النّصوص الدّينيّة إلى معايير دقيقة ومعالم واضحة، حتّى يتسنّى تحقيق النّتائج المرجوّة من هذا العمل، وقد حاول عدد من المستشرقين الألمان في هذا الإطار، رسم الشّروط الّتي ينبغي أن تتوفّر في

ترجمة النّصوص الدّينيّة عموما، وقد يكون التّوقّف عند هذه الشّروط أمرا ضروريّا للإسهام في محاولة تقويم ترجمة معاني القرآن للمستشرق رودي پارت، ولنتمكّن من الاحتكام إليها عند الاقتضاء، والنّظر فيما إذا التزم هذا المستشرق الّذي نهض بهذه المسؤوليّة أم أخلّ بها ؟

فقد ذكرت كاتارينا مومزن [35] (Katharina Mommsen) أنّ المستشرقة الألمانيّة آن ماري شيمل (1922م – 2003م) (Anne-Marie Shimmel) ترى "أنّ صعوبة ترجمة النّصوص ذات المضامين الباطنيّة [36] تكمن في البنية المتميّزة للّغة العربيّة، لأنّ : التّجاوب الّذي يضفي على الجملة العربيّة روعتها يضيع في سياق التّرجمة، كما تضيع أيضا الإيحاءات الكثيرة المستترة الّتي تكمن في كلّ جذر عربيّ، وتثير لدى العارفين مختلف التّداعيات والتّجارب التّاريخيّة والدّينيّة والبلاغيّة." [37]

– وأضافت آن ماري شيمل قائلة : "وعندما أذاع فون هامر [38] شيئا من ترجماته للقرآن، أكّد أنّ :

– القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنّما هو أيضا ذروة البيان العربيّ.

– سحر اللّغة العظيم (...) يشهد على أنّ القرآن، هو وحي من الله.

---

35) كاتارينا موزن، أستاذة بجامعة ستانفورد في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

36) المقصود بالمضامين الباطنيّة النّصوص الدّينيّة الّتي تكون معانيها مكنونة في بطن اللّغة الّتي ينبغي استنطاقها حسب القواعد العلميّة المقرّرة للتّمكّن من استنباط الأحكام، واستخراج أسرارها المعنويّة والرّوحيّة.

37) مومزن كاتارينا – جوته والعالم العربيّ – ترجمة عدنان عباس علي – سلسلة كتب عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب بالكويت – العدد 194 – رمضان 1415 هـ/ فيفري 1995م، ص 297.

38) المستشرق النمساوي /الألماني يوسف فون هامر – پورجستال Joseph von-Hammer Purgstall، ولد سنة 1774م، وتوفي سنة 1856م .

– أنّ محمّدا ﷺ لم ينشر سلطانه على قومه بالسّيف، بل نشره في المقام الأوّل بإعجاز الخطاب.

– الكلمة الحيّة الّتي فاقت القصائد السّبع (...) المعلّقة على جدار الكعبة، لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشريّة، بل تحتّم أن تكون كلمة نطقت وكتبت منذ الأزل في السّماء، ومن هنا فإنّ القرآن، هو وحي الله.

– إنّ أصدق ترجمة للقرآن هي تلك التّرجمة الّتي لا تصرف جهدها للتّعبير عن الرّوح فحسب، وإنّما تسعى لمحاكاة شكل الخطاب، وإيقاعه أيضا.

– اقتناء النّص من حيث الإيقاع والرّنين شرط لا غني عنه في مثل هذه التّرجمة. أضف إلى هذا أنّ السّحر العظيم الّذي نحسّه في الشّعر العربيّ لا يكمن في الصّــورة والحركــة فحســب، وإنّمــا يكمن فيمــا تنطوي عليه وحدة القافية من روعة أيضا، فهذه تدوّي في أذن العربيّ دويّ الصّفّارة السّاحرة حقّا. (39)

– لكي يكون في الإمكان تقديم ترجمة للقرآن، صادقة بالقدر المستطاع، ينبغي على التّرجمة أن تحذو حذو النّص الأصليّ، لا من حيث تسلسل الأفكار فحسب، بل من حيث النّبرة أيضا، أي ينبغي أن تحاكي الإيقاع الّذي يأتي في نهاية الآيات، وهذا ما لم تأخذ به التّرجمات العربيّة المعروفة لنا حتّى الآن.

– الواقع أنّه لا توجد لغة أوروبيّة يمكنها أن تستجيب لهذه الشّروط والمتطلّبات استجابة اللّغة الألمانيّــة." (40)

---

39) علّق الدّكتور عبد الغفّار مكّاوي، مراجع ترجمة كتاب "جوته والعالم العربيّ"، بقوله في هامش الصّفحة 298 : "ربّما يقصد فون هامر صوت الصّفارات الّتي أطلقتها السّاحرة كاليبسو و زميلاتها من جنّيّات البحر، فأسرن بها أديسيوس – بطل ملحمة هوميروس – وزملاءه البحّارة، وعطّلن إرادتهم على المقاومة ..."

40) المرجع نفسه، ص 298.

إنّ التّأمّل في هذه القائمة من الشّروط والمقاييس الّتي ضبطها المستشرق النّمساوي/الألمانيّ يوسف فون هامر پورجستال حسبما روته عنه المرحومة آن ماري شيمل، يجعلنا نغلّب استحالة انطباقها على أيّ من التّرجمات الغربيّة حاليّا، وتبقى أنظارنا موجّهة إذن إلى ما يجوز أن نصفه بالنّجاح النّسبيّ الّذي تتميّز به بعض محاولات التّرجمة عن غيرها من التّرجمات، بمعنى هل التزم رودي پارت على سبيل المثال بمحاكاة شكل الخطاب والإيقاع في القرآن ؟

وهل أخذ في اعتباره أنّ القرآن دستور الإسلام أوّلا، وذروة البيان العربيّ ثانيا ؟

وهل نظر إلى الإعجاز البيانيّ في القرآن باعتباره ليس قريحة بشريّة، بل لا بدّ أن يكون هذا الإعجاز ناتجا عن كون القرآن وحيا من الله ؟

وأمّا الشّرط الأهمّ الّذي وضعه المستشرق فون هامر، ولا نملك بدورنا إلاّ أن نقرّه عليه، فهو موقف مترجم معاني القرآن من نبوّة سيّدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام، بمعنى الاشتراط بألاّ يكون المترجم منتميا إلى التّيار المتحامل على مقام النّبوّة، ومن فئة الّذين يزعمون بوهمهم أنّ الرّسول نشر الإسلام بالسّيف، إذ لم يكن نشر الدّين من لدن الرّسول إلاّ بإعجاز الخطاب، والمقصود بهذا الإعجاز هنا : العلم والحكمة، والموعظة الحسنة، بلا شكّ أو ارتياب.

6 – ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن في ضوء النّقد الموضوعيّ :

صدرت ترجمة المستشرق الألمانيّ الكبير رودي پارت لمعاني القرآن الكريم سنة 1962م في مجلّد واحد، ثمّ أضاف إليه المترجم مجلّدا ثانيا سنة 1971م، ويعتبر هذا المجلّد بمثابة ملحق للتّرجمة حاول فيه رودي پارت تدارك بعض الصّعوبات المستعصية على ضبط وجوه التّفسير المختلفة، كما ضمّنه كشّافا لغويّا هامّا للمفردات القرآنيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه التّرجمة تتويج حقيقيّ للمسيرة العلميّة للمستشرق رودي پارت الّذي عاشت فكرة هذا الإنجاز في وعيه وشعوره منذ سنة 1935م، وظلّت ترافقه طيلة حياته الّتي قضى معظم فتراتها في تعزيز صلته بالدّراسات القرآنيّة، والتّفاسير المختلفة، بل صوّب اهتمامه نحو كلّ ما يمكن أن يحقّق أمله من علوم، مهما كانت علاقتها بالقرآن، فاهتمّ بالسّيرة النّبويّة، وبالحديث النّبويّ، وباللّغة والأدب العربيّ، واللّهجات الشّعبيّة والعاميّة، وسافر إلى الأقطار العربيّة بقصد الاطّلاع على التّجارب والمهارات المختلفة، من طاقات إنسانيّة وكنوز تراثيّة، وقد أمدّه هذا الرّصيد من تعدّد المواهب والملكات على إنجاز مهمّته في إطار قريب من الكمال والموضوعيّة، والنّزاهة والأمانة العلميّة، بحسب شهادة النّقاد والعلماء الّذين لم يختلفوا حول إيجابيّة هذا العمل، ولم يرتب أحد منهم في قيمته العلميّة.

وقد أفرد مسعود منصوري – وهو باحث إيرانيّ مختصّ في نقد تراجم معاني القرآن إلى اللّغة الألمانيّة وتقويمها– نقدا مستقلاّ ومفصّلا باللّغة الفارسيّة لترجمة رودي پارت بعنوان "**تأمّلات في بعض مواطن القوّة والضّعف في ترجمة رودي پارت للقرآن الكريم**" (41)، فأقرّ أنّها من أفضل التّرجمات إلى اللّغة الألمانيّة، وأكثرها شهرة وانتشارا، وما كثرة الإقبال عليها، باعتبارها ترجمة علميّة موثّقة، والحظوة الّتي اكتسبها بتجديد نشرها باستمرار في العديد من البلدان الإسلاميّة والأوروبيّة، منذ صدورها لأوّل مرّة في بداية السّتّينات من القرن العشرين، إلاّ دليل على مدى سلطتها المعرفيّة والعلميّة لدى الدّارسين والباحثين.

41) منصوري مسعود: تأمّلي در برخی ازنقاط قوّت وضعت ترجمۀ رودی پارت – مجلّة ترجمان وحي – العدد الثامن – السّنة الرّابعة – قم/ إيران – 1379 هجري شمسي/1421 هجري قمري/2001م، ص ص 63 – 71.

وتتجلّى نقاط القوّة في ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن الكريم حسب الدّراسة الّتي أعدّها مسعود منصوري، في ما يلي:

- اتّبع رودي پارت أسلوبا موحّدا في ترجمته للآيات الّتي تكرّر ذكرها في القرآن، أو وردت ضمن تراكيب متقاربة، بمعنى أنّه حاول ترجمتها أيضا بحسب التّقارب الموجود بينها في القرآن، فوردت في النّص المترجم إلى اللّغة الألمانيّة متقاربة كذلك من حيث التّراكيب والألفاظ، والمباني النّحويّة واللّغويّة، ومن الآيـــات الّتي يتجلّى فيها هـــذا الاتّجـــاه، قوله تعـــالى: "**له ملك السّموات والأرض**" [42]، و "**بما قدّمت أيديهم**" [43]، وقد استمرّ تطبيق هذا الأسلوب من قبل رودي پارت مع الآيات الّتي تكرّرت بنفس الصّيغة في أكثر من سورة، فاستقرّت في التّرجمة الألمانيّة بنفس الصّيغة أيضا، وهذا شاهد على سعي المترجم إلى أن يكون أمينا، بواسطة تطبيقه لهذا المنهج الّذي توخّى دراسة الآيات القريبة من حيث المضمون في مرحلة أولى، ثمّ المقارنة بينها في مرحلة لاحقة، ليصل إلى المرحلة الختاميّة الّتي تفضي إلى الصّياغة النّهائيّة للتّرجمة، ومن الأمثلة على ذلك، قـــول الله تعـــالى: "**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها**"[44]، فقد وردت في التّرجمة الألمانيّة بنفس الصّيغة، كلّما وقع تكرارها في المواضع المختلفة : Du » brauchst ihr Vermögen und hire Kinder nicht zu bestaunen. Gott will sie im diesseitigen leben damit bestrafen. »

42) البقرة : 107، والتوبة : 116، والفرقان: 2، والزّمر : 44، والحديد : 5، وغير ذلك من الآيات القرآنيّة في سور مختلفة.

43) البقرة : 95، والنساء : 62، والقصص : 47، الجمعة : 7، وغير ذلك.

44) التّوبة : 55 و 85 .

ومن الأمثلة أيضا، قـــول الله عـــزّ وجـــلّ : ﴿ **ولا تبخسوا النّاس أشياءهم** ﴾ [45] من ســـور الأعراف وهـــود والشّعراء، إذ وردت جميعها على نمط واحد لم يتغير، وهو « Und zwackt den Leuten nicht ab, was ihnen gehört . »

– هناك بعض المفردات القرآنيّة المترادفة ظاهريّا، ولكنّها تتميّز باختلافات دقيقة في الدّلالة على المعنى المقصود، وغالبا ما ترد هذه المفردات معطوفة على بعضها، مثل "**خوف وخشية**" و "**خضوع وخشوع**" و "**رحمن ورحيم**"، ومن البديهيّ أن تشكّل هذه الاختلافات الجزئيّة عائقا كبيرا أمام مترجم معاني القرآن، لكنّ رودي پارت تعامل مع هذه الظّاهرة اللّغويّة بدقّة عاليّة وعناية بالغة، ويمكن توضيح هذا الأمر من خلال النّموذجين التّاليين :

المثال الأوّل : قول الله تعالى "**إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله.**" [46] Ich klage meinen gram und meine trauer Gott allein

لقد وضّح اللّغويّون الفرق بين "**بـــثّ**" و "**حـــزن**"، وقرّروا أنّ المراد من "**البـــثّ**" هو الغمّ الّذي لا يقدر الإنسان على كتمانه، فيظهره بعد أن كان خافيا، وأمّا "**الحـــزن**"، فهو الغصّة الخفيّة [47]، ويلاحظ في هذا المقام استعمال رودي پارت لعبارة «**Gram**» و«**Trauer**»، وهو اختيار دقيق وصحيح، بينما غفل ماكس هننج (Max Henning) [48] عن هذا الفرق، ولم يراع الدّقّة باستعماله لعبارة «**Kummer**» و «**Trauer**».

45) الأعراف : 85، و هود : 85، والشّعراء: 183.

46) يوسف : 86 .

47) راجع : الرّاغب الإصفهاني – المفردات في غريب القرآن – تحقيق محمّد سيّد كيلاني– دار المعرفة – بيروت – بلا تاريخ، ص 37، و ص 115.

48) صدرت ترجمة ماكس هيننج لمعاني القرآن الكريم سنة 1901م .

المثال الثّاني : قول الله تعالى ﴿ **هو الّذي جعل الشّمس ضياء والقمر نورا** ﴾ [49] Er ist es, der die Sonne zur helligkeit und den Mond zu licht gemacht … hat.

فقد وردت "**ضيـــاء**" و "**تـــورا**" معطوفة مرّة واحدة، وتكرّر ذكرها في القرآن منفصلة، وذكر اللّغويّون أنّ معنى ضياء، هو ما انتشر من الأجسام النّيرة، مثل نور الشّمس، بينما تدلّ كلمة نور على معنى عارض ومكتسب[50]، وقد اهتدى رودي پارت أيضا إلى المعنى الخاصّ لكلّ من هاتين الكلمتين، فاستعمل عبارة «**Licht**» في مقابل "**تـــور**"، و« **Helligkeit**» في مقابل "**ضيـــاء**"، كما أنّه التزم الدّقة والحذر في ترجمته لهاتين الكلمتين كلّما وردتا منفصلتين في القرآن، كالآية الثّامنة والأربعين من سورة الأنبياء، والآية الواحدة والسّبعين من سورة القصص، بينما نلاحظ هنا أيضا أنّ ماكس هيننج لم يوفّق البتّة في ترجمته لكلمة "**ضيـــاء**" حيث استعمل العبارة الألمانيّة «**Licht**».

- حاول رودى پارت ترجمة المصطلحات البلاغيّة بعدم التّقيّد بظاهر النّص، فبحث لها عن معادل مناسب في اللّغة الألمانيّة، وبلغ في هذا المسعى شوطا بعيدا جعله في مأمن من الأخطاء الّتي وقع فيها المترجمون السّابقون، ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **فأصبحوا نادمين** ﴾ [51] Dann (aber) begannen sie (ihre Tat) zu bereuen، ونلاحظ أن لعبارة "**أصبـــح**" في هذه الآية دلالـــة مجازيّة لا تـــدلّ على قيـــد الزّمـــان، وقـــد وقـــع

49) يونس : 5.

50) ذكر مسعود منصوري أنّه راجع قاموس أقرب الموارد في تحقيقه للفرق بين مصطلحي "تـــور" و "ضيـــاء".

51) الشّعراء: 157 .

هيننــج و جلدا شميث [52] (Goldschmidt) في هذا الخطإ، متوهّمين أنّها تدلّ على معنى القيد الزّمني، فاختارا المفردة الألمانيّة «morgens»، وهذه ترجمة حرفيّة خاطئة، بعيدة عن أداء المعنى بدقّة.

ومن الآيات الدّالة على روح الابتكار والإضافة ترجمته لمعنى الآية الكريمة "**فكنتم على أعقابكم تنكصون**" [53] Aber hir machtet kehrt، بقدر كبير من الدّقة والصّواب، وهذا ما جعل ترجمته متفوّقة على غيرها من التّرجمات إلى اللّغة الألمانيّة، بحسب ما ذهب إليه أغلب النّقاد والدّارسين. [54]

7 - الإشارة إلى بعض سلبيّات ترجمة رودي پارت :

اتّفقت آراء النّقاد على أنّ عمليّة التّرجمة تجربة معقّدة بلا جدال، وهي تتطلّب خبرة ودربة طويلة، إضافة إلى رصيد علميّ نظريّ يأخذ في الاعتبار الفوارق الأسلوبيّة واللّسانيّة الموجودة بين نوعيّة النّصوص الّتي يتناولها المترجمون .. ولا شكّ أنّ ترجمة معاني القرآن المجيد تقتضي بذل أضعاف مضاعفة من الجهود سعيا إلى بلوغ أقصى قدر من الدّقة في نقل المباني والمعاني، ومع ذلك لم تسلم أيّ ترجمة إلى اليوم من الأخطاء والعثرات، كثيرة كانت أم قليلة، وقد دأبت مدرسة الاستشراق الألمانيّ على تتبّع الجهود السّابقة بالنّقد والتّقويم، وأصدر المستشرقون من ذوي الجنسيّات المختلفة دراسات ومقالات في هذا السّياق، ومنها مقالة المستشرق الألمانيّ يوهان فوك (1894م

52) صدرت ترجمة جلدا شميث لمعاني القرآن سنة 1916م.

53) المؤمنون : 66.

54) Gätje, Helmut, « Zur Koranübersetzung von Rudi Paret », aus Bustan (Österceichische Zeitschrift), 6-1965.

نقلا عن : منصورى، مسعود – تأمّلى در برخى از نقاط قوّت وضعف ترجمهٔ رودى پارت، ص 64.

- ؟؟؟) (Johan Fück)، وهي بعنـــوان "**حول مسألة ترجمة القرآن**" (55)، ومقالة المستشرق الأنجليزيّ تي. بي إيروينج (T.B. Irving) "**مشاكل ترجمة المصطلحات والمفاهيم القرآنيّة في التّرجمات الأنجليزيّة**" (56)، وهذا دليل على قصور الإنسان أمام إعجاز القرآن، بمعنى أنّ القرآن قد بلغ الغاية القصوى في الإتقان، من جهة التّراكيب والمضامين، والمعاني والبراهين، وأنّه يبقى فوق طاقة البشر، إذ ليس بالإمكان أن يحيط الإنسان المحدود بالقرآن الّذي لا تحدّه حدود.

وإزاء التّسليم بهذه الحقيقة البديهيّة، صار من اليسير الحديث عن مواطن الضّعف في أيّ محاولة لترجمة معاني القرآن، ونقد الاتّجاهات الخاطئة، مهما بذل المترجم من جهد ودقّة، ومهما كان موضوعيّا وأمينا، وينطبق هذا الموقف بلا شكّ على المستشرق الألمانيّ الشّهير رودي پارت، إذ استشعر بدوره هذا الأمر، فحاول تدارك مشاكل التّرجمة، حتّى بلغت به الحيرة في مواطن كثيرة إلى أن يعمد إلى إضافة جمل توضيحيّة للآيات القرآنيّة، بل توخّى طريقة ثانية تتمثّل في ترجمة بعض الآيات مرّتين، أي أنّه كان يترجم المعنى الّذي يفهمه ثمّ يضيف إليه ترجمة حرفيّة ثانية، وتشتدّ حيرة رودي پارت لمّا يعجز عن

---

55) Johan Fück, « Zur Frage der Koranübersetzung », in Orientalistische Literaturzeitung 47 (1944) col. 165-168.

وقد قام مسعود منصوري بترجمة هذا المقال من اللّغة الألمانيّة إلى اللّغة الفارسيّة تحت عنوان: "در بارهٔ مسئلهٔ ترجمهٔ قرآن" – مجلّة ترجمان وحي – العدد التّاسع- السّنة الخامسة- قم/إيران- 1380 هجري شمسي/1422 هجري قمري/2001 م .

ويتعلّق مقال يوهان فوك بدوره، بنقد كتاب أجوست فيشر حول ترجمات القرآن وسورة المسد، وعنوان الكتاب باللّغة الألمانيّة هو :

Fischer, A. Der Wert der vorhandenen Koran – übrsetzungen und Sure ııı . Leipzig, 1937.

56) T.B. Irving, « Terms and Concepts : Problems in Translating the Qur'àn », Islamic Perspectives : Studies in Honour of Sayyid Abul A` la Mawdudī, Leicester : The Islamic Foundation, 1979, pp. 121 – 134.

الاهتداء إلى ترجيح أيّ من المعاني الصّحيحة، فيكتفي بوضع نقاط استفهام للإشارة إلى أنّه لم يتمكّن من ترجيح أيّ معنى من المعاني، وفي هذا الموقف دليل واضح على محدوديّة الإنسان، عندما يجد نفسه وجها لوجه مع القرآن.

وقد خصّ الباحث اللّيبيّ ساسي سالم الحاج رحمه الله، ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن، بفقرة في موسوعته الّتي كتبها حول الاستشراق بعنوان : "**الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها على الدّراسات الإسلاميّة**"، فكان موقفه منها مركّبا من ثنائيّة امتزج فيها المدح بالقدح، إذ كاد يسلّم بأنّها أفضل ترجمة حديثة لمعاني القرآن باللّغة الألمانيّة، ويتجلّى هذا الموقف من قوله: "ولعلّ أهمّ ترجمة حديثة إلى اللّغة الألمانيّة تلك الّتي قام بها " رودي باريت R. Barret"، وذلك بعد اطّلاعه العميق والواسع على تفاسير الطّبري والزّمخشريّ والبيضاويّ"[57]، ونلاحظ أنّه بعد وصف رودي پارت "بالاطّلاع العميق والواسع" سرعان ما انتقل إلى مهاجمته واتّهامه بتبنّي نيّة الإساءة إلى القرآن وتحريف معانيه، فقال إنّه "لو اطّلعنا على منهجه في هذه التّرجمة لرأيناه يسلك هو الآخر سبيل زملائه في إضافة تعبيرات ومعان معيّنة لربط سياق الكلام كما قال. وهو منهج سلكه أغلب المترجمين، وقد بيّنا لك عيوبه .. ويحاول باريت تبرير هذه التّرجمة المحرّفة في قوله إنّ طريقة تعبير القرآن كثيرا ما تكون مقتضبة، وأحيانا ترد في سياق الحديث فكرة في تلميح خاطف أو تبقى بدون تلميح، وعلى القارئ أن يجتهد في ربط سياق الحديث بما يلزم من إضافات ... وقد أدخلت في ترجمتي إضافات معيّنة هنا وهناك لربط سياق الكلام." [58]

---

57) سالم الحاج ساسي : الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها على الدّراسات الإسلاميّة – منشورات مركز دراسات العالم الإسلاميّ I. W. S. C – الطبعة الأولى – مالطا – 1991 م، ج 2 – ص 312.

58) المرجع نفسه، ص 312.

والملاحظ أنّ ساسي سالم الحاج لم يوفّق فيما أبداه حول ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن الكريم، لأنّه لم يطّلع اطّلاعا مباشرا على هذه التّرجمة، حتّى إنّه ارتكب خطأ في رسم اسم المترجم (R. Barret) والصّحيح Rudi Paret، ثمّ نلاحظ أنّه لم يستكمل استعمال مناهج البحث العلميّ من محاولة استقراء المصادر والمراجع، والسّعي إلى المقارنة والمقايسة بين ما ورد فيها، إمعانا في التّثبّت والتّدقيق، وقد أشار ساسي سالم الحاج إلى أنّه اعتمد فيما كتبه على مقال ميشال جحا، بعنوان "**هيلموت ريترو رودي پارت**" [59]، ونقل ميشال جحا بدوره عن مقال كتبه المرحوم محمّد حميد الله (1908م – 2002م) باللّغة الأنجليزيّة تحت عنوان "ترجمة القرآن إلى سائر اللّغات" [60]، وبهذا يتّضح أنّ ساسي سالم الحاج اعتمد في حديثه عن ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن الكريم على واسطتين اثنتين، وهذا ما لا تقرّه المناهج العلميّة الدّقيقة، فضلا عن كون اعتراف رودي پارت نفسه بأنّه "اضطرّ إلى إضافة جمل توضيحيّة إلى ترجمته لمعاني القرآن" [61] من شأنه أن يصونه عن الاتّهام الّذي وجّهه إليه ساسي سالم الحاج، لا سيّما أنّ المنهج الّذي اتّبعه رودي پارت لا تكاد تخلو منه أيّ ترجمة من ترجمات معاني القرآن الكريم، وقد انقسم الدّارسون والنّقاد حولها إلى فئتين، إذ ترى الفئة الأولى أنّه لا يجوز إضافة أيّ جملة أو مفردة توضيحيّة، بينما تجيز الفئة الثّانية هذا الأمر، لكنّنا نرى كلا الفئتين تذعنان أمام الأمر الواقع عند الانتقال إلى مستوى التّطبيق، فيضطرّ أشدّ المانعين لهذه الإضافات إلى مخالفة ما أقرّوه نظريّا، ومن الضّروريّ الإنصاف والعدل في مقام إصدار النّقد والأحكام، خاصّة أنّ رودي پارت سبق أن عبّر عن أنّه لجأ

59) نلاحظ هنا أيضا عدم الدّقة في ضبط عناوين المراجع، والعنوان الكامل لمقال ميشال جحا هو "مستعربان ألمانيّان بارزان: هلموت ريتر و رودي پارت" – مجلّة الفكر العربيّ – العدد 31 – جانفي/ مارس 1983م، صص 338. 349.

60) Hamidullah (M.), Translation of the Quran in every language.

61) Paret, Rudi ; Vorwort zu Der Koran, p.7.، نقلا عن: مسعود، منصوري – تأمّلى در برخى از نقاط قوّت وضعف ترجمهٔ رودى پارت، ص 66.

إلى اتّباع هذا النّهج بقصد التّوضيح والمبالغة في الاحتياط، فلا داعي إذن إلى اتّهامه بنيّة التّحريف والتّصحيف، وإن كان هذا الأمر دليلا أصيلا على أنّ للإنسان حدودا لا قدرة لديه على تجاوزها، خاصّة إذا ما تعلّق الموضوع بالتّعاطي مع القرآن الكريم في مستوى التّفسير والتّأويل، ونقل معانيه من اللّسان العربيّ المبين إلى غيره من اللّغات.

وأمّا سائر النّقائص الّتي يمكن الإشارة إليها دون قصد الطّعن أو التّجريح، فهي :

- القضايا العقديّة ذات الصّلة بعصمة الأنبياء، وعلم الله تعالى بأفعال العباد، والجبر والاختيار، وغيرها من المباحث الّتي تشكّل موضوع خلاف بين الفرق الإسلاميّة نفسها، ومن الطّبيعيّ أنّ كلّ ترجمة لمعاني هذه القضايا لا بدّ أن تنطلق من المباني الكلاميّة الّتي يؤمن بها المترجم، وقد يتعاظم الخطأ إذا كان المترجم من غير المسلمين، ويبدو أنّ رودي پارت لم يسلم من الوقوع في دائرة هذه الأخطاء العقديّة الخطيرة أيضا، ومن ذلك ترجمته لمعنى قول الله سبحانه: "**وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**" [62] بما يلي: Auch Gott wollte (…) feststellen (w., wissen) wer ihm und seinen Gesandten im geheimen hilft

ويذكر مسعود منصوري أن المعنى الّذي تنتجه هذه التّرجمة هو أنّ الله يريد أن يحصل له العلم بمن ينصره ورسله سرّا وخفية، وقد تؤدّي هذه التّرجمة إلى شبهة القول بأنّ علم الله محدود، ولو أنّ رودي پارت استفاد من الفعل lassen، وهو فعل يفيد معنى السّببيّة، لاستقام المعنى [63]، ومن الآيات الّتي لم يوفّق رودي پارت في ترجمة معانيها، قول الحقّ تبارك وتعالى: "**فلعلّك**

62) الحديد : 25.

63) منصوري مسعود: المرجع نفسه، ص 69.

تارك بعض ما يوحى إليك" [64]، إذ ترجمها كالآتي: Vielleicht möchtest du etwas von dem, was dir eingegeben wird, auslassen.

وقد يتوهّم من يقرأ هذه التّرجمة أيضا أنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام كان يرغب في ترك بعض ما أوحاه الله إليه، بكتمانه وعدم تبليغه، وقد أكّد رودي پارت نفس هذا المعنى الّذي ذهب إليه في التّرجمة ضمن الجزء الثّاني الّذي دوّن فيه ملاحظاته التّوضيحيّة حول هذه التّرجمة [65]، ويتنافى هذا الأمر مع عقيدة عصمة النّبيّ محمّد في مقام تبليغ الرّسالة، بل إنّه يناقض كليّا اعتقاد المسلمين قاطبة في سلامة القرآن من الزّيادة والنّقصان. [66]

- تجب الإشارة إلى بعض الأخطاء المتعلّقة بآيات الأحكام، ومنها قوله تعالى : ﴿**وكلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ...**﴾ [67]، فقد وردت في ترجمة رودي پارت كالتّالي : Und esst und trinkt, bis ihr in der Morgendämmerung einen weissen von einem schwarzen Faden unterscheiden Könnt

ولم يتفطّن رودي پارت إلى أنّ تعبير "**الخيط الأبيض**" و "**الخيط الأسود**" كناية عن الوقت الّذي ينقطع فيه المسلم عن الأكل والشّرب إيذانا بدخول وقت الصّيام، فجاءت التّرجمة بعيدة عن هذا المعنى، وترجمها رودي پارت ترجمة حرفيّة : ﴿**كلوا واشربوا إلى أن تتمكّنوا من تمييز الخيط الأبيض عن الخيط الأسود عند طلوع الفجر**﴾، ومن الأمثلة أيضا قوله سبحانه : ﴿**فتيمّموا صعيدا**

---

64) هود : 12.

65) 1. Paret, R. ; Kommentar und Konkordanz, Stuttgart 1977, zu betroffenem Vers.، نقلا عن المرجع السّابق، ص 69.

66) نقلا عن المرجع السّابق، ص 69.

67) البقرة : 187.

طيّبا ﴾[68]، فقد ترجمه رودي پارت بقوله : , dann sucht einen sauberen (oder : geeigneten, w. guten) hochgelegenen Platz auf und streicht euch über …

ومعنى هذه التّرجمة : "**ابحثوا عن مكان نظيف [أو: مناسب] ومرتفع وامسحوا به وجوهكم وأيديكم**"، ويتبيّن ممّا ذكرنا أنّ رودي پارت لم يدرك معنى الآية الكريمة الّتي نزلت لتوضيح حكم التّيمّم.[69]

ولا نشكّ أنّ الأخطاء الّتي أشرنا إليها تدلّ على أنّ للإنسان حدودا تحدّ من توقه إلى الكمال والإتقان مهما بذل من الجهد والطّاقة، ويتراوح الجهد البشريّ ليصيب في مواطن ويخطئ في أخرى، في حركة تجعل طابع النّسبيّة غالبا على جلّ أعماله، ويمكن من هذا المنطلق أن نعتبر ترجمة رودي پارت موفّقة إلى حدّ كبير رغم ما يعتريها من النّقائص الّتي يمكن إرجاعها إلى السّهو والنّسيان، والعجز عن بلوغ الكمال والإتقان، وهذا أمر لا يكاد يخلو منه أيّ جهد بشريّ.

8 - ثناء النّقاد على ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن :

أجمع الباحثون الغربيّون أنّ ترجمة رودي پارت لمعاني القرآن أفضل ترجمة إلى اللّغة الألمانيّة على الإطلاق، ولم يختلف النّقاد الأوروبيّون من جميع الجنسيّات حول هذه المسألة، وحظي رودي پارت بشهادات إيجابيّة من لدن الدّارسين المسلمين، يمكن أن نتوقّف عند بعضها، ومن ذلك قول عبد الرّحمن بدوي : "العمل الأساسيّ الّذي ارتبط به رودي پارت هو ترجمته للقرآن في مجلّد واحد، والتّعليق على التّرجمة في مجلّد ثان .. وفي هذه التّرجمة لم

---

68) النّساء : 43.

69) المرجع نفسه، ص 70.

يشأ پارت أن يدخل في مغامرات ريشارد بل [70] (Richard Bell) الّذي قطّع سور القرآن تقطيعات اعتباطيّة، لم يبيّن دواعيها وأسبابها، حتّى فرّق القرآن إربا إربا، ولا في محاولات ريجي بلاشير ووضع ترتيب تاريخيّ للسّور حسب نزولها فيما تخيّل (راجع كتابنا Défense du Coran)، بل ترجم القرآن – أي رودي پارت – بحسب التّرتيب العثماني المتعارف عليه بين المسلمين منذ 30 للهجرة تقريبا [71] حتّى اليوم" [72]، وأضاف عبد الرّحمن بدوي ضمن حديثه عن منهج رودي پارت، قائلا: "والتزم في التّرجمة الدّقة وإن جاءت أحيانا على حساب الأناقة في العبارة الألمانيّة، وفي فهمه للنّص، ابتعد عن إيغالات المفسّرين ذوي النّزعات الخاصّة، وإنّما تعلّق بالنّص كما هو في أبسط فهم له. وحين كانت التّرجمة الحرفيّة تبدو غير واضحة، كان يضع بين قوسين معقوفتين كلمات إضافيّة ابتغاء الإيضاح" [73]، وأضاف في معرض تثمين الجهد الّذي بذله رودي پارت في المجلّد الثّاني أنّه "وضع تعليقات على المواضع المشكلة في فهم بعض الآيات في كلّ سورة تلو سورة. وذكر خلاصة الأبحاث الّتي جرت حول المشكلة خصوصا أبحاث المستشرقين، وبذلك زوّدنا بإشارات إلى الدّراسات العديدة الّتي تناولت هذه المشكلة أو تلك، ممّا يثيره نصّ القرآن، فكشف بذلك عن اطّلاع شامل استقصى ما كتب في هذا الباب، وصار بذلك أداة ثمينة لإرشاد من ينشدون المزيد من البحث في هذه النّقط المشكلة. وبهذا صار هذا المجلّد الثّاني أداة بيبلوجرافيّة نافعة جدّا للباحثين" [74].

---

70) ريشارد بل: مستشرق أنجليزي، ولد سنة 1876 م وتوفّي سنة 1952 م.

71) يعتقد المسلمون قاطبة أنّ التّرتيب العثمانيّ الموجود اليوم في الصاحف القرآنيّة ترتيب توقيفيّ يعود إلى النّبيّ ﷺ بوحي من الله تعالى، وبهذا ينتفي ما صرّح به عبد الرّحمن بدوي أعلاه، ولعله سهو منه.

72) بدوي عبد الرّحمن : موسوعة المستشرقين، ص 62.

73) المرجع نفسه، ص 62.

74) المرجع نفسه، ص 62.

وأعدّت أسرة تحرير مجلّة الوعي الإسلاميّ الّتي تصدر عن وزارة الأوقاف الكويتية دراسة حول "تاريخ ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأوروبيّة" خصّت فيها رودي پارت بتحيّة كريمة، جاء فيها : "وفي سنة 1966م، ظهرت ترجمة المستشرق الألمانيّ رودي پارت، وتعتبر أحسن ترجمة للقرآن الكريم باللّغة الألمانيّة، بل باللّغات الأوروبيّة عموما، وقد حرص صاحبها على أن يكون عمله علميّا، وأقرب ما يكون إلى الدّقة والأمانة في نقل المعاني القرآنيّة من العربيّة إلى الألمانيّة حتّى إنّه حينما تعترضه كلمة يشكل عليه فهمها على الوجه المقصود، أو لا يطمئنّ إلى قدرته على تحديد معناها باللّغة الألمانيّة، فإنّه يثبتها بنصّها العربيّ كما وردت في الآية الكريمة، ولكن بالحروف اللاّتينيّة ليفسح المجال أمام القارئ ليتوصّل بنفسه إلى إعطائها المعنى الّذي يراه ملائما لسياق الكلام دون أن يفرض عليه وجهة نظره الشّخصيّة." [75]

ونضيف إلى هذه الشّهادات الإيجابيّة ما ذكره رودي پارت نفسه في مقدّمة ترجمته من أنّه لم يستفد مطلقا من التّرجمات السّابقة [76]، وهذا دليل على استقلاله العلميّ وعدم متابعته لأسلافه فيما ذهبوا إليه من آراء ونظريّات حول القرآن الكريم، لكن ينبغي أن نذكر إلى جانب هذا أنّ رودي پارت كان يتعامل مع القرآن على أساس كونه إنتاجا بشريّا لا وحيا منزلا [77]، وتشكّل هذه النّقطة بالذّات مصدر قلق وإزعاج كبير للمسلمين، ومن الواجب العينيّ ههنا أن نؤكّد المصدر السّماويّ للقرآن الكريم، وندعو إخواننا من معتنقي الدّيانات السّماويّة إلى مراجعة مواقفهم السّابقة في خصوص هذه النّقطة بالذّات، لأنّنا طالما أكّدنا أنّ الحوار بين الأديان – وهو جهد انخرط فيه المسلمون بمنتهى

75) تاريخ ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأوروبيّة – تحقيق أعدّته أسرة تحرير مجلّة الوعي الإسلاميّ – الكويت – الثلاثاء 15 رجب 1425هـ / 31 أوت 2004 م.

76) Paret Rudi, Vorwort zu, der Koran, Überstzung von R. Paret, Stuttgart 1966. , p 8 .2.

77) GRAHAM, William A. In Memoriam Rudi Paret , p 140.

الجديّة – لا يمكن أن ينتج ثماره من تحقيق التّعاون والأخوّة الحقيقيّة إلاّ في ظلّ تعديل المواقف السّلبيّة السّابقة من القرآن الكريم، حتّى تتّضح معالم المستقبل، ولا نرى ما يمنعنا عندئذ من أن ننضمّ إلى المستشرق ويليام جراهام لمخاطبة رودي پارت بالآية القرآنيّة المباركة "إنّ إلى ربّك الرّجعى [78]." [79]

78) العلق : 8.

79) GRAHAM, William A. In Memoriam Rudi Paret , p 141.